﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزّلزلة: 7 - 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بعدَ أنْ ذكرَ اللّه تَعالى صُدورَ النّاسِ مِن قبورِهِم مُتفرِّقين ليُروا أعمالَهم والجزاءَ على أفعالِهم؛ ناسَبَ أنْ يُفرِّعَ على ذَينِك التَّرغيبَ والتَّرهيبَ بعدَ الفراغِ مِن إثباتِ البعثِ والجَزاء[1]، فسبَّب عن ذلك قولَه مُفصِّلًا الجملةَ الَّتي قبلَهُ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[2].

بعدَ إثباتِ البَعثِ والجَزاء، يتفرَّعُ التَّرغيبُ والتَّرهيبُ مِن يومِ اللِّقاء

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مِثۡقَالَ﴾: (ثقل) أصلٌ واحدٌ، وهو ضدُّ الخِفّة، ولذلك سُمّي الجنّ والإنسُ الثّقلَين؛ لكثرةِ العَدَد، ويُقالُ: ارتحلَ القومُ بثقلَتِهم؛ أي: بأمتِعَتِهم[3]، والثّقل: واحدُ الأثقال، مثلُ: حَمْل وأحمال، ويُقال: أعطِه ثِقلَهُ؛ أي: وزنَهُ[4]، والمِثقالُ: وزنُهُ درهمٌ وثلاثةُ أسباعِ درهم، ومِثقالُ الشّيءِ: ميزانُهُ مِن مِثلِهِ[5]، والمِثقال - كـ (مِفتاح) - صيغةٌ للآلة؛ أي: ما يَثقُلُ به الشَّيْءُ، ومعنى الآلةِ في الأفعال اللّازمة يَرجِعُ إلى خصوصيّةٍ أوْ صفةٍ في نفسِ الشّيءِ، والمرادُ بهِ في الآيةِ: الوزنُ الَّذي تُقدّرُ به الأشياءُ المُتناهيةُ في الصِّغَر[6].

2) ﴿ذَرَّةٖ﴾: (ذر) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على لَطافةٍ وانتشار، ومِن ذلك الذَّرُّ؛ وهو صِغارُ النَّمْل، الواحدةُ: ذرّةٌ[7]، والذّرُّ: النَّسل،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 494.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 207.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ثقل).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (ثقل).
(5) الفيّوميّ، المصباح المنير: (ثقل).
(6) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 2/ 18.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرّ).

والذُّرّيّة: الصِّغار. وتكونُ الذُّريّةُ واحدًا وجَمْعًا[1]. وذرَّ الشّيءَ يَذُرّهُ: أخذَهُ بأطرافِ أصابِعِهِ ثمَّ نَثَرَهُ على الشَّيء، قالَ ثعلبٌ: إنّ مائةً منها وزنُ حَبّةٍ من شَعير. وقيل: الذّرّة ليسَ لها وزنٌ، ويرادُ بها ما يُرى في شُعاعِ الشَّمسِ الدّاخلِ في النّافذة[2]، وأصلُ الذَّرّةِ: فعْلة، مصدرٌ للمَرّة، ثمّ يُستعمَلُ في ما يُنشَرُ؛ أي: في واحدةٍ منَ الأجزاء المُنتشِرة في الهواءِ، وهذا الإطلاقُ للمُبالغة. وهذه الواحدةُ من مَصاديقِ الذّرِّ المُتحقّقةِ في الخارج[3]، والمرادُ بهِ في الآية: المُتناهي في الصِّغَر ولو كانَ جُزءًا مُتطايِرًا بالهَواء فإنَّه يوزَنُ ولا يَضيعُ ثقلُهُ؛ كنايةً عن دقَّةِ الحِسابِ والميزانِ.

3) ﴿يَرَهُۥ﴾: (رأى) أصلٌ يدلُّ على نظَرٍ وإبصارٍ بعَينٍ أوْ بصيرةٍ[4]، ورأيتُ الشّيءَ رُؤيةً: أبصرتُهُ بحاسَّةِ البَصَر، ومنهُ: الرّياء؛ وهو إظهارُ العمَلِ للنّاس ليَروهُ، ورُؤيةُ العَين: مُعاينَتُها للشّيء، ويُستعمَلُ بمعنى: (العِلْم والظَّنّ، فيَتَعدّى إلى مفعولين، ورأيتُ زيدًا: أبصرتُهُ، يتَعَدّى إلى واحدٍ؛ لأنّهُ من أفعالِ الحَواسّ[5]، قالَ اللَّيثُ: الرَّأي رأيُ القَلب، والجَمعُ: الآراءُ[6]؛ فهو النَّظَرُ المُطلقُ بأيّةِ وسيلةٍ كانَ، بالعينِ الباصرةِ، أوْ بقلْبٍ بصيرٍ[7]، والمرادُ بهِ في الآية: الرُّؤيةُ البَصَريَّةُ أوِ العِلْميَّة.

المَعْنى الإجْماليُّ:

تفصيلٌ للرّائينَ وما يَرَونَهُ من الأعمال خيرِها وشرِّها، والمعنى: فمَنْ يعمَلْ مِن مؤْمنٍ أوْ كافرٍ خيرًا أوْ شرًّا يَرَ جزاءَ عمَلِهِ يومَ

الدُّنيا عمَلٌ بلا جَـزاء والآخـرةُ جَزاءٌ بلا عَناء

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: (ذرّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ذرّ).
(3) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 3/ 290 - 293.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(5) الفيّوميّ، المصباح المنير: (رأى).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (رأى).
(7) المصطفويّ، التّحقيق في كلمات القرآن: 4/ 12 - 14.

الحِساب، ولو كانَ ما عَمِله يُعادِلُ في القلَّة وزنَ ذرّةٍ؛ أي: أقلَّ شيءٍ يَعرفونَهُ، فأمّا المؤمنُ فيَرى حسناتِهِ وسيّئاتِهِ، فيَغفِرُ اللّه تَعالى لهُ سيِّئاتِهِ ويُثيبُهُ على حَسناتِهِ، وأمّا الكافر فيَرى كذلك حَسَناتِهِ وسيِّئاتِهِ، فيردُّ اللّه سُبحانَهُ حسناتِهِ، ويعذِّبُه بسيِّئاتِهِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

وجهُ العطفِ بـ (الفاء):

التَّفريعُ والتّفصيل، للرّائين العملَ الكثيرَ والقليل

عطفَ النَّظمُ الكريمُ بـ (الفاءِ) قولَهُ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ على ما قبلَهُ؛ للدِّلالةِ على التَّعقيبِ والتَّفريعِ عَن (الواوِ) معَ التّفصيلِ لها[2] في قولِهِ: ﴿لِّيُرَوْاْ﴾؛ ببيانِ أنَّ بعضَ الرّائينَ يَرَونَ الخيرَ عندَ عمَلِهم لهُ ولو قليلًا، وبعضَهم الآخر يرَوْنَ الشَّرَّ عندَ عملِهم لهُ ولو قليلًا، والَّذي يُفهَمُ من كلامِ ابنِ عاشور أنَّها للاستئناف؛ لقوله: "تَفْريعٌ عَلى قَوْلِهِ: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ تَفْريعَ الفَذْلَكَةِ؛ انْتِقالًا لِلتَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ بَعْدَ الفَراغِ مِنْ إثْباتِ البَعْثِ والجَزاءِ، والتَّفْريعُ قاضٍ بأنَّ هَذا يَكونُ عَقِبَ ما يَصْدُرُ النّاسُ أشْتاتًا"[3]، ورأى البقاعيُّ أنَّها متسبِّبةٌ ودالّةٌ على تفصيلِ الجُملة الّتي قبلَها[4]، فـ: "الفاءُ في ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ تفصيليّةٌ؛ لأنَّ هذا تفصيلٌ لرُؤيةِ جميعِ أعمالِهم صغيرةً أوْ كبيرةً؛ لأنَّه بمَنْطوقِهِ يدلُّ عَلى رؤيةِ العمَلِ الصَّغير، وبدلالةِ النَّصِّ يدلُّ عَلى رُؤيةِ العمَلِ الكبير؛ أي: جَزائه"[5].

وجهُ استعمالِ اسمِ الشّرطِ (مَن):

رُؤيةُ الأعمال مُتحقّقةٌ بكلِّ مَن يحضُرُ الحشرَ والسُّؤال

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بـ (مَن) الشَّرطيَّة في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾؛ للدِّلالةِ على العُمومِ والشُّمول معَ تعليقِ رُؤيةِ الخيرِ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 10/ 1991.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 238.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 495.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 208.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 20/ 395.

بعمَلِهِ ولو قليلًا جدًّا، فيدخلُ في ذلك العموم كلُّ مَن يصدُرُ من النّاس لرُؤيةِ جزاءِ عملِهِ، سواءٌ أكان مُؤمنًا أمْ كافِرًا، قال البقاعيُّ: "﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ مِن مُحسِنٍ أوْ مُسيءٍ مُسلِمٍ أوْ كافِرٍ"(1)، وروي عن "ابنِ عباسٍ: ليسَ مِن مُؤمنٍ ولا كافرٍ عملَ خيرًا كانَ أوْ شرًّا، إلّا أراهُ اللّه تعالى إيّاه؛ فأمّا المؤمنُ فتُغفرُ له سيّئاتُهُ ويُثيبُهُ بحسَناتِهِ، وأمّا الكافرُ فتُرَدُّ حسَناتُهُ ويُعذَّبُ بسَيّئاتِهِ. وهذا الاحتمالُ يُساعِدُهُ النَّظمُ؛ فإنَّ قولَهُ ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ تفصيلٌ لما عقَّبَ بهِ من قولِهِ: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فيَجِبُ التَّوافُقُ، و(الأعمالُ): جمعٌ مضافٌ يفيدُ الشُّمولَ والاستغراقَ، و﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ مقيّدٌ بقولِهِ: ﴿أَشْتَاتًا﴾، فيفيدُ أنَّهم على طرائقَ شتَّى للنُّزول في مَنازلهم من الجنَّةِ والنّار بحسَبِ أعمالِهِم المُختلفة، ومِن ثَمَّ كانتِ الجنّةُ ذاتَ درَجاتٍ، والنّارُ ذاتَ دَرَكاتٍ"(2).

نكتةُ التَّعبيرِ بفعلِ (العمَل) مادّةً وصيغةً:

الـتّرغـيـبُ والـتّرهـيـب بتحقُّقِ الأعمالِ في الحالِ القَريب

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بفعلِ (العمَل) مُضارِعًا في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾؛ للدِّلالة على صُدور العمَلِ من أيِّ عاملٍ على سبيلِ التَّجدُّدِ الاستمراريِّ؛ إذ الأعمالُ مُتواليةٌ ومُتتابِعة. لكنْ في التَّعبيرِ بالمضارعِ دلالةُ حِكايةِ الحال؛ لأنَّه بعدَ الصُّدورِ يكونونَ قد عَمِلوا وانتهى العمَلُ، ولذا فإنَّ النَّظمَ عدلَ عن الماضي إلى المضارعِ لحِكايةِ الحال الماضيةِ وكأنَّها تقَعُ الآن. والغرضُ من العُدولِ تحقيقُ مَزيدٍ من التَّرغيبِ والتَّرهيب للمُخاطَبين حتَّى يَنتبهوا للعمَلِ الصّالح قبلَ فواتِ الأوان. واختارَ النَّظمُ القرآنيُّ مادّةَ العملَ دونَ الفعلِ؛ لأنَّه صادرٌ من العاقلِ المُخاطَبِ بالتَّكاليف، ونلمحُ من التَّعبيرِ بالعَمَل إلى أنَّه شاملٌ لكلِّ تكليف، ومنه تكليفُ الإيمانِ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 208.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 16/ 544.

والاعتقاد؛ فإنَّه عمَلُ القَلب، ففيهِ إشارةٌ إلى أنَّه مَن كان في قلبِهِ مِثقالُ ذرّةٍ من إيمانٍ انتفَعَ بها ونجا من عذابِ الخُلودِ، أوْ خُفِّفَ عنهُ من عذابِ النّار.

دلالةُ الكنايةِ في إضافةِ ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾:

تخصيصُ المِقدار بالقليل دالٌّ على كمالِ العَدْلِ الجَليل

أُضيفَ لفظُ ﴿مِثْقَالَ﴾ إلى ﴿ذَرَّةٍ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾؛ للدِّلالة على تخصيصِ المثقالِ - الَّذي يُعبَّرُ عنه للدِّلالة على المِقدار[1] - بالذرَّةِ الَّتي يُعبَّرُ بها عن المقدَّرِ المَوزون، ودلّتِ الإضافةُ على أنَّ أيَّ عمَلٍ مهما كان صغيرًا فإنّه مسجَّلٌ، فالتَّركيبُ الإضافيُّ كنايةٌ عن مُنتهى الصِّغَر والقلّةِ في الأعمال، ولذا قالَ ابنُ عاشور: "ومِثْقالَ ذَرَّةٍ مَثَلٌ في أقَلِّ القِلَّة"[2]؛ إذْ بعضُ الأشياءِ غيرُ قابلةٍ للوَزْن لصِغَرِها الشَّديد، وأكثرُ شيءٍ يَتناهى في الصِّغَر هي الذرَّة، ومعَ ذلك فإنَّ مَن عَمِلَ عمَلًا بمِقدارِ الذرّةِ توزنُ ويَرى جزاءَها عندَ اللّه تعالى، دلالةً على كمالِ العَدْلِ الإلهيِّ، وعِظةً لكلِّ عاملٍ بما سَيراه مِن جزاءٍ وثَواب.

سرُّ التّنكيرِ في ﴿ذَرَّةٍ﴾:

التَّحريضُ على الصّالحات والتَّنفيرُ منَ السّيِّئات

عبّرَ النَّظمُ الكريمُ عن المقدَّم من الأعمالِ بلفظِ ﴿ذَرَّةٍ﴾ منكّرةً في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ للدِّلالة على التَّحقيرِ والتّقليل والتَّصغير؛ فيَتوافَقُ دلالةُ تنكيرِها مع مضمونِها الدّالِّ على النَّملةِ الصَّغيرة في ابتداءِ حَياتها[3] أوْ رأسِها، أوْ ما يُرى منَ الهَباء في ضَوْءِ الشَّمس. وفي ذلك تحريضٌ على العملِ الصّالح مهما كان قليلًا وتنفيرٌ منَ العمَلِ السّيّءِ مهما كانَ صَغيرًا.

نكتةُ التَّعبيرِ بالتّمييز ﴿خَيْرًا﴾:

التَّشويقُ بذِكْرِ الإبهامِ ثمَّ تفسيرُهُ بالكَلام

جاءَ التَّعبيرُ بالتَّمييزِ ﴿خَيْرًا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 495.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 495.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 495.

ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾؛ للدِّلالة على رفعِ الإبهام عن الذّاتِ المَوزونة المقدَّرة بالمثقال؛ إذِ التَّعبيرُ بـ ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أضفَى إجمالًا مشوِّقًا للسّامع حتّى يَعرِفَ بيانَهُ وتوضيحَه، فلمّا أتى التَّمييزُ حصلَ التَّعيينُ لذلك العمَل المَوزونِ المُتناهي في الصِّغَر والقلَّة.

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿يَرَهُۥ﴾ دلالةً وصيغةً:

عبّرَ النَّظمُ القرآنيُّ بفعلِ (الرُّؤيةِ) مُضارعًا جوابًا للشَّرط مجزومًا بحذفِ حرفِ العلَّة في قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾؛ للدِّلالة على حصولِ الرُّؤية جزاءً لأعمالِه المقدَّمة، ولو كانت بمُنتهى الصِّغَر على سبيل التَّجدُّدِ الاستمراريِّ. وفيه عدولٌ أيضًا عن الماضي إلى حكايةِ الحالِ؛ للدِّلالة على استحضارِ صورةِ رُؤيةِ جزاءِ تلك الأعمال الدَّقيقة، وأنَّها مسجَّلةٌ على الرُّغم من دقَّتِها وصِغَرِها، ولها جزاءٌ وثوابٌ أوْ تخفيفٌ من عذابٍ. وفي حذفِ حرفِ العلَّة واقتطاعِ جزءٍ من اللَّفظ صِغَرٌ يتوافَقُ مع التَّصغير للعَمل؛ إذْ تكونُ الرُّؤيةُ بمثابةِ اللَّمْحةِ لذلك العمَلِ المُتناهي في الصِّغَر. كما أنَّ التَّعبيرِ بفعلِ الرُّؤيةِ يُرجِّحُ الرّؤيةَ البصريّة دونَ العِلْميَّة؛ إذْ يَرى ويُبصر جزاءَ أعمالِه. ولمّا كان هذا تفريعًا وتفصيلًا للواوِ في ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ فإنَّ تلك الإراءةَ تكونُ بصريَّةً أيضًا، وقال النقّاش: ليستْ برُؤيةِ بصَرٍ، وإنَّما المعنى: يُصيبُهُ ويُنالُهُ[1]، فيكونُ مَجازًا مُرسَلًا أو اسْتعارةً تبعيّةً.

الأعمالُ المُتناهية في الصِّغَر يُرى جَزاؤُها بجَليِّ النّظَر

دلالةُ الكِناية في ﴿يَرَهُۥ﴾:

كنَّى النَّظمُ الكريمُ بفعلِ الرُّؤيةِ في قوله تعالى: ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ للدِّلالة على الفرَحِ والسُّرور[2]؛ إذ يلزَمُ من رؤيةِ عملِ الخَير ولو كان قليلًا حصولُ ذلك الأمر؛ فالغرَضُ من الرُّؤيةِ لعملِ الخير والجزاءِ

رُؤيَـةُ العمَـلِ الصّالح، كِنايةٌ عـن حُـصـول الفَرَحِ الصّادِح

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 239.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 208.

عليه حصولُ السَّعادة، فيكون ترغيبًا بالعملِ الصّالح من أجل الحُصولِ على السَّعادةِ الدّائمة.

بيانُ مرجِعِ الضَّميرِ في ﴿يَرَهُۥ﴾:

ثَـراءُ المَعاني باحتمالات عَوْدِ الضَّمير إلى المَبَاني

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بضَميرِ الغَيبة في قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾ العائدِ إلى العمَل المفهومِ مَن الفعلِ ﴿يَعۡمَلۡ﴾، وحينئذٍ يكونُ العملُ بمعنى المعمولِ أوِ بمعنى الجزاء؛ إذِ العملُ لا يُرى بل يَرَى ما عَمِلَه بأنْ كان منقوشًا كتبُهُ في الصُّحُف أوْ يُعرَضُ عليه معمولُهُ مصوَّرًا، أوْ يَرى جزاءَهُ - على تقديرِ المُضاف المحذوف - . ويحتملُ أيضًا أنْ يكون راجعًا إلى لفظِ التَّمييز ﴿خَيۡرٗا﴾، ورُؤيةُ الخيرِ برُؤيةِ الجَزاء، فيكونُ ترجيحًا لرُؤيةِ جزاءِ الأعمال؛ لأنَّ الخيرَ الأوَّلَ معمولٌ له، والخيرَ الثّانيَ جزاءٌ عليه، فالضَّميرُ وإنْ عاد على ﴿خَيۡرٗا﴾، لكنَّ المرادَ به خيرُ الجَزاء.

سرُّ تقديمِ عمَلِ الخيرِ على عملِ الشَّرِّ:

التَّرغيبُ بالخَير أســـاسٌ في الدَّعوةِ إلى الله تَعالى

قُدِّمَ عملُ الخَير على عمَلِ الشَّرِّ في مقامِ التَّفصيل للرّائينَ أعمالَهم الصّادرينَ أشتاتًا للحسابِ في قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾؛ للدِّلالة على التَّرغيبِ بعمَلِ الخير، وأنّه هو الأصلُ في التَّعامُلِ معَ المُنعِمِ الوهّاب، وأنَّ رحمتَه سُبحانه سبقتْ غضَبَه، وأنَّ الخيرَ هو الأصلُ في الفِطرة الإنسانيَّة، وعلّلَ الزَّمخشريُّ بقولِه: "يُحكى أنَّ أعْرابيًّا أخَّرَ ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾، فقيلَ قَدَّمْتَ وأخَّرْتَ؛ فقالَ:

خُذا بَطْنَ هَرْشَى أوْ قَفاها فإنَّهُ كِلا جانِبَيْ هَرْشَى لَهُنَّ طَريقُ"[1].

قال ابن عاشور معلِّقًا: "وَقَدْ غَفَلَ هَذا الأعْرابيُّ عَنْ بَلاغَةِ الآيَةِ المُقْتَضيَةِ التَّنْويهَ بأهْلِ الخَيْرِ"[2].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 784 - 785.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 495.

وجهُ العَطفِ بـ(الواو):

توضيحُ المُجمَل بالكلامِ المُفصَّل

عطفَ النَّظمُ الكريم الجملةَ الشَّرطيَّة في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ على الجملةِ الشَّرطيَّة السّابقة؛ ليكونا مُشتركَين في التَّفصيلِ للضَّمير المُجمَل في قولِهِ: ﴿لِّيُرَوْا۟﴾؛ الشّامل للَّذين يَعملونَ الخير والَّذين يَعملونَ الشَّرّ، والجامِعُ بينَ المُتعاطفينِ وهميٌّ لعلاقةِ التَّضادِّ بينهما.

سرُّ إعادةِ فعلِ أداةِ الشَّرطِ وفِعلِهِ:

التّفصيلُ في الكلام مُقتضٍ للإطنابِ دالٌّ على الاهتمام

أعادَ البيانُ القرآنيُّ أداةَ الشَّرط وفِعلَه في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ ولم يكتفِ بالقول: (ومثقال ذرَّةٍ شرًّا)؛ لدلالةِ السّابق عليه؛ وذلك "لِتَكونَ كُلُّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةَ الدَّلالَةِ عَلى المُرادِ؛ لِتَخْتَصَّ كُلُّ جُمْلَةٍ بغَرَضِها مِنَ التَّرْغيبِ أوِ التَّرْهيبِ؛ فأهَمِّيَّةُ ذلِكَ تَقْتَضي التَّصْريحَ والإطْنابَ"[1].

مِن جوامِعِ الكلِمِ القُرآنيّ:

الجامِعةُ الفاذَّة الدّالَّةُ على الحِكمةِ الباذِخَة

اشتملَ النَّظمُ القرآنيُّ على أعلى درجاتِ الكلامِ وأروعِ أساليبِ البيان، حتَّى عَدَّ النَّبيُّ الكريمُ ﷺ هاتينِ الآيتينِ مِن جوامِعِ الكلم، فقد وصفَها بـ (الجامعةِ الفاذّة)؛ إذ قالَ: «لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فيها إلّا هَذِهِ الآيَةُ الجامِعَةُ الفاذَّةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾»[2]. و"سَمّاها جامِعَةً لِشُمولِها لِجَميعِ الأنْواعِ مِنْ طاعَةٍ ومَعْصيَةٍ، وسَمّاها فاذَّةً لانْفِرادِها في مَعْناها"[3] "ولمّا ذَكَرَ الخيرَ؛ أتْبَعَه ضِدَّه، فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ أيْ: كائنًا مَن كان ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾ أي: مِن جهة الشَّرِّ ﴿يَرَهُۥ﴾ فما فوقه، فالمؤمن يراهُ ويعلمُ أنَّه قد غُفِرَ له ليشتَدَّ فرحُه، والكافر يراه فيشتَدّ حُزْنُه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 495.
(2) رواه البخاريُّ في صحيحه، برقم: (4963).
(3) ابن حجر، فتح الباري: 65/ 6.

وترحُه، والذّرّة: النَّملة الصَّغيرة أو الهَباءَة الَّتي تُرى طائرةً في الشُّعاع الدّاخل من الكوّة، وقد رجع آخرها على أوَّلها بتحديث الأخبار وإظهار الأسرار"[1].

سرُّ تكرارِ جُملةِ: (مَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّة):

تـكـرارُ الـشَّـرط والـجَـواب لـلـدّلالـة على العَدْل العُجاب

كرّرَ النَّظمُ الكريم أغلبَ الجُملةِ الشَّرطيَّة السّابقة في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؛ للدّلالة على عدالةِ الميزانِ والحُكم الإلهيّ؛ فالعاملونَ للخَيْرِ يُسجَّلُ عليهم ولو كان قليلًا، وكذلك العاملونَ للشَّرِّ. كما دلَّت ﴿وَمَن﴾ الثّانيةُ على العُموم الصّادقِ بأيٍّ كان مِن أهل الإسلام أوْ غيرِهم. واختيرَ الفعلُ المُضارع للدّلالةِ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ، وأفادَ لفظُ العمَل صدورَهُ من العقلاء المُكلَّفين، وأعطى التَّنكيرُ في ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ التَّناهيَ في الصِّغَر والقلَّة. وأفادَ التَّمييزُ أيضًا بيانَ ذلك الأمر المَوزونِ بالمثقال، بعد التَّشويقِ إليه بذكرِهِ مُبهمًا ثمَّ تفسيرِهِ، لتترتَّبَ عليه رؤيةٌ بصريّةٌ للعمَل أوْ للجزاءِ أوْ للشَّرِّ المُجازَى بهِ.

بلاغَةُ المُقابلة بين الآيتين:

تـقـابُـلُ الآيـتـيـن تصويرٌ لتشتُّتِ الفريقَين

اشتملَتِ الآيتان الأخيرتانِ على المقابلةِ البديعيَّة[2] في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؛ إذْ كلُّ جزءٍ من الجملتينِ مُطابِقٌ للآخَرَ منها، فالّذي يعمَلُ خيرًا مقابِلٌ للَّذي يعمَلُ شرًّا، ومثقالُ ذرّةِ الخَير مُقابلةٌ لمثقالِ ذرّةِ الشَّرِّ، والرُّؤيةُ الأولى مُقابلةٌ للرُّؤيةِ الثّانية؛ إذِ الأولى رُؤيةٌ لجزاءِ الخيرِ والثّانيةُ رؤيةٌ لجزاءِ الشَّرّ، وهذا التَّقابلُ الضِّدّيُّ بينَ الطَّرفين يُصوِّرُ صدورَ النّاسِ أشتاتًا مُتفرِّقين؛ إذِ التَّشتُّتُ لا يتحقَّقُ إلّا بالتَّباعُدِ بين العَمَلين والجَزاءين.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 22/ 208.

(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 32/ 245 - 246.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المِثقال والمِقدار:

كلُّ مِثقالٍ مقدارٌ مِن غيرِ عَكْسٍ كلّيٍّ

المثقالُ مختصٌّ بتقديرِ ما لهُ ثِقلٌ باعتبارِ كُتْلتِهِ وجِسمِهِ. وأمّا المِقدارُ فكلُّ ما يُقدَّرُ به شيءٌ؛ سواءٌ أكان كَيْلًا أمْ وزْنًا أم عَدَدًا، فالمَكيلاتُ والمَوزوناتُ والمَعدوداتُ والمَذروعات كلُّها لها مقاديرُ مَعلومة، وأمّا المِثقال فمختصٌّ بالموزوناتِ وما لهُ ثقلٌ وجُرْمٌ.

الرُّؤية والمُشاهَدة والنّظَر:

كـلُّ مُـشاهـدةٍ رُؤيـةٌ بلا عَكْسٍ كـلّيٍّ، ولا يلـزَمُ من النَّظَرِ الرُّؤيةُ

المُشاهدةُ أخصُّ من الرُّؤية؛ إذ تدلُّ على المُعاينةِ والحُضور عندَ المُشاهَدِ والعِلْمِ به عِلْمًا تفصيليًّا[1] حتّى يكونَ هذا المُشاهِدُ شاهِدًا على ما رآهُ وعايَنَهُ ومُخبِرًا عنهُ بشَكْلٍ قاطِعٍ[2]، بخلافِ الرُّؤية؛ فإنَّه قَد يراهُ مِن بعيدٍ ولا يحصُلُ عندَهُ علمٌ تفصيليٌّ به، فلا تتأتَّى منه الشَّهادةُ. وأمّا النَّظَرُ فهو توجُّهٌ للرُّؤيةِ وقصدٌ لها، وقد تحصُلُ الرُّؤيةُ والإدراك البصريُّ وقد لا يتحقَّقانِ، ومِن ثمَّ عبَّر النَّظم القرآنيُّ في قولِهِ تعالى: ﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ دونَ (يُشاهدوا) أوْ (يَنظروا)؛ لأنَّ الصُّدور من المحشَرِ لرُؤيةِ جزاءِ الأعمالِ من الدَّرَجات والدّرَكات يكونُ مَرئيًّا بالعين دونَ مُعاينةٍ واقترابٍ تامٍّ، ولا نظَرٍ قد لا يَستلزِمُ الرُّؤيةَ.

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 96، 76.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شهد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"